الإسلام والمصلح الزيورخي البروتستانتي تيودور بيبليياندر

بقلم
الباحث الألماني: مارك ادوارد إيناي
Marc-Edouard Enay
ترجمها عن الألمانية وقدّم لها
وعلّق عليها: ثابت عيد

مقدمة ثابت عيد

كاتب هذه الدراسة هو الباحث والناشر الألماني مارك ادوارد إيناي Marc-Edouard Enay. عاش أولا في مدينة هامبورج بألمانيا، قبل أن يستقر في منطقة جيشتاد السياحية في سويسرا. وهو صاحب دار النشر Orient-Antiquariat. وقد تفضل الصديق ألبرت فون برون، مدير القسم العربي في مكتبة زيورخ المركزية، بتعريفي بالباحث إيناي. وهو بذلك قد قدم لي خدمة جليلة، لأني تعرفت بالفعل على باحث كرّس حياته لنشر كتابات محايدة وموضوعية عن الإسلام. وقد اطلعت على أحد مؤلفات الأستاذ ايناي وهو كتابه عن القرآن ورسول الإسلام المعنون بـ: "Mohammed und der heilige Koran". وهو عمل متميز نتمنى أن نراه مترجمًا إلى العربية قريبًا(١).

عندما رجوت الأستاذ إيناي أن يكتب لي دراسة بالألمانية عن الزيورخي بيبلياندر وقصته مع ترجمة معاني القرآن، أخبرني أن بوسعه أن يؤلف مجلدات عن هذا الموضوع!! وكان هذا دليلا على إلمامه بالموضوع من مختلف جوانبه. بالطبع تعجبت من رد فعله هذا، وأخبرته أن المطلوب حاليا هو مقال مختصر نوضح من خلاله للقاريء العربي قصة هذا المفكر السويسري الزيورخي وموقفه من الإسلام. فكان أن بعث لي مشكورًا بدراسته التالية على عنواني في زيورخ بعد أيام قليلة فقط. وقد قرأت دراسته هذه باهتمام، وترجمتها بإخلاص وعناية، نظرًا لما تتضمنه من معلومات قيمة عن موقف أحد كبار المفكرين السويسريين من الإسلام. وبالطبع زودت الترجمة ببعض الشروحات المفيدة.

لكن: ما هي علاقة زيورخ بالإسلام؟ بل ما هي علاقة زيورخ بالدين أصلا؟ وما هو تأثير المعتقدات الدينية على حياة أهل زيورخ عبر التاريخ؟ أسئلة شيقة ومثيرة، وتحتاج الإجابة عليها إلى بحث طويل وكلام كثير. ولكننا نقتصر هنا على إلقاء الضوء على بعض خلفيات موضوع البحث الذي تفضل الأستاذ إيناي وكتبه بطلب شخصي مني، وهو: "Der Islam und der Reformator Theodor Bibliander" - «الإسلام والمصلح البروتستانتي تيودور بيبلياندر».

أوّل ما ينبغي الإشارة إليه هنا هو الصراع الذي حدث في المسيحية بين الكاثوليك وبين البروتستانت والذي راح ضحيته آلاف من الأبرياء(٢). يميل بعض النقاد إلى تشبيه هذا الصراع بما حدث في الإسلام بين المعتزلة والحنابلة. لكن ينبغي التحذير من التعميم في هذا الشأن، لأنّنا مازلنا بحاجة إلى دراسات وافية مقارنة، تعيننا على فهم الذات والحاضر من خلال الإلمام بما حدث في الماضي إسلاميًا ومسيحيًا. في هذا الإطار تُصبحُ المقارنة مستحسنة. ولكن حتى نصل إلي هذا المستوى مازال الطريق طويلا جدًّا أمامنا.

تعود قصة اعتناق زيورخ للمذهب البروتستانتي إلي سنة ١٥١٩م، حين أصبح هولدريخ تسفينجلي Huldrych (Ulrich) Zwingli (١٤٨٤-١٥٣١م)(٣) قسيسًا في وقف «جروس مونستر» Grossmünster، فشرع في إدخال البروتستانتية إلى زيورخ. وتلاحقت الأحداث بعد ذلك فقطعت زيورخ علاقتها مع الكنيسة الكاثوليكية في سنة ١٥٢٣-١٥٢٨م. واندلعت أول حرب بين مدينة زيورخ والمناطق الكاثوليكية سنة ١٥٢٩م. وتبع ذلك حدوث اضطهاد للكاثوليك في زيورخ، مثلما حدث اضطهاد للبروتستانت في مناطق كاثوليكية أخرى من العالم. واستمر اضطهاد الكاثوليك في زيورخ حتى سنة ١٨٠٧م حين سُمح لهم لأوّل مرة، بعد ظهور الإصلاح البروتستانتي، بممارسة شعائرهم الدينية.

عرفت الحركة البروتستانتية ثلاثة أقطاب كان لهم الأثر الأعظم في نشر هذا المذهب. فظهر مارتن لوتر Martin Luther (١٤٨٣-١٥٤٦م) في ألمانيا(٤)، وظهر هولدريخ تسفينجلي(٥) في زيورخ، في حين جاء يوهانس كالفن Johannes Calvin (١٥٠٩-١٥٦٤م)(٦) من فرنسا، قبل أن يستقر في جنيف بسويسرا.

كانت مسألة ما أطلق عليه «العشاء الرباني» Abendmahl من أهم نقاط الخلاف بين هؤلاء الزعماء. فبينما اعتبر لوتر العشاء الرباني تذكيرًا لما قام به المسيح من فداء للخليقة، «وأن يعتقد المسيحي أنّ المسيح معه بجسده عند تناول هذا العشاء»(٧)، ذهب تسفينجلي إلى القول بأنّ المسيح يحضر ذلك العشاء بروحه فقط(٨). وفي مقابل ذلك كان كالفن يرى أنّ العبرة في العشاء الرباني للذكرى فقط، وليس لحضور المسيح ماديًا أو روحيًا(٩).

كان بيبلياندر - موضوع دراسة الأستاذ إيناي - هو أشهر تلامذة تسفينجلي في زيورخ.

بخصوص موقف الحركة البروتستانتية من الإسلام، فينبغي هنا أيضًا التحذير من التعميم. ولعل أهم ما تجدر الإشارة إليه في هذا السياق هو أنّ مارتن لوتر كان يُعلنُ دائمًا أنّ للمسيحية عدوين: عدو داخلي هو البابا، وعدو خارجي هو الإسلام(١٠). وعُرِفَ عن لوتر أيضًا هجومه الفظ على اليهودية(١١). كما أنّه خلف لنا مجموعة ضخمة من الشتائم القبيحة في حق رسول الإسلام (صلعم)(١٢).

موقف لوتر العدائي من الإسلام يمكن إرجاعه إلى عاملين أساسيين. أوّلا: الجهل بالإسلام. ثانيًا: عدم وجود علماء مسلمين في محيط أصدقائه ومعارفه، بل في ألمانيا وأوروبا في ذلك الوقت. فوجود علماء مسلمين في مجتمع أوروبي يساهم لا محالة في تنوير الناس بحقيقة الإسلام. ألم ترَ أنّ أحد أسباب الصورة السيئة للإسلام في الغرب ندرة العلماء بين مسلمي الغرب، وقلة من يجيد اللغات الأوروبية ويتقن التعامل مع وسائل الإعلام الغربية؟

لم تؤثر عن تسفينجلي أقوال أو مواقف متشددة من الإسلام، مثل تلك المعروفة عن لوتر. وربما كان لهذا تأثير إيجابي لدى بيبلياندر بخصوص موقفه من الإسلام.

بقي أن نشير أن المستشرق الألماني يوهان فوكJohann Fueck قد عالج إشكالية ترجمات معاني القرآن إلى اللغات الأوروبية في كتابيه: "Arabische Kultur und Islam im Mittelalter" (= الثقافة العربية والإسلام في القرون الوسطى) (١٩٨١م) - و: "Die arabischen Studien in Europa" - (= الدراسات العربية في أوروبا) (١٩٥٥م).

167- هوامش مقدمة ثابت عيد

(١) من أعمال الأستاذ إيناي الأخرى: "Schuld sind die Maenner - nicht der Koran. Zur Situation der muslimischen Frau" - (= الرجال هم السبب، وليس القرآن. في حالة المرأة المسلمة).

(٢) لعل مذبحة سان بارثلميو في فرنسا تمثل إحدى حلقات الصراع الدموي بين الكاثوليك وبين البروتستانت. يقول الدكتور توفيق الطويل: «ظهرت حركة الإصلاح الديني في فرنسا في مطلع القرن السادس عشر. وسرعان ما فشت البروتستانتية، واعتنقها أتباع كلفن ممن سموا بالهوجونوت فيما بعد ... فاعتزم هنري الثاني أن يستأصل من فرنسا شأفتهم، وتولاهم باضطهاد دام زادهم إيمانًا بمذهبهم واستبسالا في الدفاع عنه، وحماسة في التبشير به. واتصلت جماعتهم بالسياسة تعين مَن ناصرهم من رجالها، وتستعين بهم على التمكين لمذهبها. وإلى مثل هذا اتجه الكاثوليك، وقام نزاع انتهى بموجة من الفتن والحروب والمذابح، لطّخت بالدم تاريخ فرنسا إبان هذا العصر.

وأراد تشارلس التاسع ت ١٥٧٤م أن ينشرَ الأمنَ في ربوع البلاد، فهادن الهوجونوت، وأدنى زعماءهم من حضرته، وتوّج هذه الحركة بالرغبة في تزويج أخته من زعيم لهم. فأثار هذا المسلك ثائرة الكاثوليك.

وفي ليلة الزفاف أقبلت جموع الهوجونوت تترى باريس. فأطلقَ الرصاص على زعيمهم. وعندئذ وطن عزمه على التنكيل بمن حاول اغتياله. وخشى الكاثوليك مغبة ذلك، فعقدوا النية على أن يجعلوا عيد القديس بارثلميو (٢٤ أغسطس من عام ١٥٧٢م) مذبحة يبيدون فيها خصومهم. وفي منتصف الليل دقّ ناقوس كنيسة "سان جرمان" مؤذنًا ببدء المذبحة، فإذا بأشراف الكاثوليك والحرس الملكي وجموع الجماهير تنقض على بيوت الهوجونوت والفنادق التي أوتهم، وتأتي على مَن بها ذبحًا. فلما أصبح الصباح كانت شوارع باريس تجري بدماء ألفين من النفوس! وتطايرت أنباء المذبحة المروعة إلى الأقاليم، فإذا بها تستحيل بدورها مجزرة تجري بدماء ثمانية آلاف من هؤلاء المساكين؛ بل قيل إنّ هذه المذبحة قد أودت بحياة نيف وعشرين إلفًا!».

- الدكتور توفيق الطويل، قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة ١٩٩١، ص ٩٦-٩٧.

(٣) انظر سيرة تسفينجلي في: Evangelisches Lexikon für Theologie und Gemeinde. Herausgegeben von Helmut Burkhardt und Uwe Swarat in Zusammenarbeit mit Otto Betz. Michael Herbst. Gerhard Ruhbach. Theo Sorg. R. Brockhaus Verlag Wuppertal und Zürich 1994. S. 2224f.

(٤) مارتن لوتر Martin Luther: يقول الدكتور عبد الرحمن بدوي عنه: «مصلح ديني مسيحي شهير، ومؤسس المذهب البروتستنتي. وُلد في ايسليبن Eisleben (في نواحي هلّه Halle بشمالي ألمانيا) في العاشر من نوفمبر سنة 1483، وفي نفس البلدة توفي في 18 فبراير سنة 1546. وكان أبوه عامل مناجم. وتعلّم في مدارس مجدبورج Magdburg وايزناخ Eisenach. وفي سنة 1501 دخل جامعة ارفورت Erfurt وحصل على الإجازة الجامعية في سنة 1505. (...) وفي سنة 1507 رُسِم قسيسا. وفي سنة 1508 قام بتدريس الفلسفة في جامعة ڤتنبرج Wittenberg ... (...) وفي سنة 1511 سافر إلى روما، وهذه الرحلة هي التي غيّرت مجرى حياته. ولما عاد منها بدأت سيرته مصلحا للدين المسيحي. لقد كان البابا في أشدّ الحاجة إلى المال. ولم يجد سبيلا للحصول عليه، إلا عن طريق إصدار وبيع صكوك الغفران، أي الصكوك التي تُشترى بها مغفرة الله للذنوب التي ارتكبها المذنبون والخطاة. وكان يطلب إلى الناس شراءها، ليغفر الله ذنوب أقربائهم أو مَن يشاؤون ممن يعذبون في المطهر، بسبب ما اجترحوا في الدنيا من ذنوب. وكان يشرف على هذه «التجارة» راهب دومنيكي يدعى يوحنا تتسل Johann Tetzel (حوالي 1519-1445) وذلك في سنة 1516، فراح يروج لها بدعاوة ظاهرة أثارت ثائرة مارتن لوتر. فأصدر لوتر بيانا يحتوي على خمس وعشرين قضية ضدّ صكوك الغفران، ولصق هذا البيان على باب كنيسة ڤتنبرج Wittenberg في يوم 31 أكتوبر سنة 1517. فسافر تتسل إلى فرانكفورت على نهر الأودر، وهناك ردّ على قضايا لوتر الخمس والعشرين ببيان مضاد فنّدَ فيه بيان لوتر، وأحرق بيان لوتر علنا. فانتقم الطلاب في ڤتنبرج بأنّ أحرقوا بيان تتسل. (...) وفي سنة 1520 نشر لوتر نداءه الشهير الموجه إلى النبلاء المسيحيين في ألمانيا. وتلاه برسالة عنوانها (في الأسر البابلي للكنيسة). وفي كليهما هاجم المذهب النظري لكنيسة روما. فأصدر البابا ليو العاشر مرسوما ضدّ لوتر، يحتوي على إحدى وأربعين قضية. لكنّ لوتر أحرق المرسوم علنا أمام جمع حاشد من العلماء والطلاب والأهالي في مدينة ڤتنبرج Wittenberg (...)».

- انظر: عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، الجزء الثاني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1984، ص 363 وما بعدها.

(٥) يقول الأمام أبو زهرة: «وفي الوقت الذي كان يغالب فيه لوتر الكنيسة وأنصارها من ذوي السلطان، كان في سويسرا صوت قوي آخر ينادي بما يقارب ما نادى به لوتر. ذلك هو تسفينجلي (١٤٨٤-١٥٣١م). فقد آلمته حال الكنيسة، ودعا إلى مثل ما دعا إليه لوتر في مسائل الدين. وقد ابتدأت ثورته بالثورة على

صكوك الغفران كما ابتدأ لوتر. وقد مات أثناء صراع وقع بين أنصاره المعتنقين لمبادئه وأنصار الكاثوليك».

- الإمام محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص ١٦٦.

(٦) انظر سيرة كالفن في: Evangelisches Lexikon für Theologie und Gemeinde، S. 346ff.

- يقول الإمام محمد أبو زهرة: «في الوقت الذي كان فيه هذان الرجلان [لوتر وتسفينجلي] يعملان ويجاهدان كلّ بطريقته، فلوتر بطريقته السلمية التي خالطها العنف، وتسفينجلي بطريقة الصراع والمنازلة، حتى مات فيه. في هذا الوقت كان رجلٌ آخر ظهر في فرنسا وهو كلفن (١٥٠٩-١٥٦٤م) قد ولد بفرنسا، ونشأ بها، وتثقف ثقافة قانونية. ولكنّه مال بعد تخرجه في القانون إلى الدراسات الدينية. وقد كانت حركة لوتر قد ذاعت وشاعت في ربوع أوروبا. وما أن أعلن كلفن آراءه، حتى اضطر إلى الفرار بعقيدته إلى چنيف في سويسرا. وهناك ألّفَ وكتب وأخذ يعمل على نشر مبادئ المذهب البروتستنتي، وينظمها بعد موت لوتر. فتنظيمها على الشكل الأخير يرجع إلى كلفن أكثر مما يرجع إلى أي رجل آخر».

- الإمام محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص ١٦٦ وما بعدها.

(٧) انظر: الإمام محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص ١٦٥.

(٨) انظر: الإمام محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص ١٦٦.

(٩) انظر: الإمام محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص ١٦٧.

(١٠) انظر: ثابت عيد، صورة الإسلام في التراث الغربي، ص ٥٦.

(١١) يقول الأستاذ رمزي يسى: «... أمّا التفسير الأقرب إلى العقل، فهو الذي ننتزعه من كتابات لوتر نفسه في هذا الموضوع. فسوف نرى كيف عامل اليهود، وكيف اقترح أن تكونَ معاملة اليهود لهم. فاليهود في نظره ليسوا إلا أبالسة: "كلما قابلتَ يهوديًا، فينبغي أن ترسم إشارة الصليب، وأن تنطق جهرًا، ودون خوف بهذه العبارة: (ما هذا إلا شيطان حقيقي)". كما ينصح المصلح لأتباعه قائلا: "لا تشكوا، ولا تنسوا، معشر المسيحيين الأعزاء، أن ليس لكم من بعد الشيطان عدو تخافونه أكثر من اليهود ...". (...) وهذه أمثلة قليلة مأخوذة من كتابات لوتر حرفيًا عن رأي لوتر في اليهود. وهناك نصائح مسهبة كثيرة قدّمها لوتر لأتباعه في كيفية معاملتهم "لليهود الملاعين"، كما يصفهم: "يجب ألا يأكل مسيحي أو يشرب مع يهودي". وقد سئل لوتر مرة: هل من الصواب أن يُضرب اليهودي أو يُلكم؟ فأجاب: "بكل تأكيد. فلو كنتُ أنا الذي ألكمه لحطمت فكه. ولو استطعت لطرحته على الأرض وطعنته في ثورة غضبي ... إنّه لعمل شرعي يجيزه القانون الإنساني والناموس السماوي أن تقتلَ لصًا، وأكثر منه شرعية أن تقتل مَن يجدف"».

- انظر: رمزي يسى، من لوثر إلى هتلر. ضوء جديد على التاريخ الألماني، مكتبة العالم العربي، القاهرة بدون تاريخ، ص ١٠٩ وما بعدها.

(١٢) وصف مارتن لوتر رسول الإسلام (صلعم) بأنه: «خادم العاهرات، وصائد المومسات».

- انظر: ثابت عيد، صورة الإسلام في التراث الغربي، ص ٢١.

168- دراسة مارك ادوارد إيناي

أصبحَ الاشتغال بالإسلام في عصرنا هذا في عالم السياسة وفي الكنائس موضوعًا مركزيًا. ويسود اعتقاد خارج محيط التخصصات الاستشراقية واللاهوت بأنّ الكنائس، وخاصة الإنجيلية البروتستانتية، قد وطأت أرضًا جديدة للبحث باشتغالها بالإسلام، وخاصّة أنّ الكتابات المتخصصة في هذا الموضوع ارتبطت بأسماء مؤلفين معاصرين أو من الماضي القريب. بيد أنّ وجهة النظر هذه ليست صحيحة.

فقبل حوالي خمسمائة عام - في عصر مضطرب كعصرنا هذا - عاش رجل أوقف حياته كلها من أجل تحقيق «علاقة تفاهم بين البروتستانتية وبين الإسلام»(١). كان هذا الرجل هو: الأستاذ تيودور بيبلياندر (بوخمان) Theodor Bibliander Buchmann - سنستعرض في السطور التالية باختصار الخطوط العريضة في حياته. وأحيل المهتمين به إلى سيرة مسهبة عنه كتبها إميل إيجلي Emil Egli سنة ١٩٠١م، ولكنها لم تفقد قيمتها حتى يومنا هذا(٢).

وُلِدَ بيبلياندر سنة ١٥٠٤م (وبحسب مصادر أخرى سنة ١٥٠٩م) - كابن موظف أسقفي في وقف في مدينة كونستانس Konstanz - في بلدة بيشوفستسل Bischoffszell ، في كانتون تورجاو Thurgau ، بسويسرا.

في زيورخ ذهب بيبلياندر إلى مدرسة Grossmünster، حيث كان من بين أساتذته: أوسفالد ميكونيوس Oswald Mykonius، وليو يود Leo Jud، وأولريخ تسفينجلي Ulrich Zwingli.

وبعد ذلك التحق بجامعة بازل، فكان أساتذته هناك: البروفيسور كونراد بيليكان Konrad Pellikan، ويوهاناس أوكولامباد Johannes Oekolampad.

بجانب دراسته لعلم اللاهوت وجه بيبلياندر جهوده لتعلم اللغات القديمة: اللاتينية، واليونانية، والعبرية، حتى أتقنها ببراعة.

سنة ١٥٢٧م قام تسفينجلي Zwingli بإرسال العالم الشاب بيبلياندر إلى ليجنتس في شليسيان Liegnitz in Schlesien، حيث كان دوق Herzog هذه المقاطعة قد أسس «مدرسة عليا»، وكان يبحث عن مدرس ينقل أفكار تسفينجلي ويدرّسها. مكث بيبلياندر هناك سنتين.

بعد وفاة تسفينجلي عمل بيبلياندر بداية من سنة ١٥٣١م كخليفته في مدرسة الـ Grossmünster كـ«أستاذ ومحاضر»، يقوم بتفسير الـ Septuaginta وهي أقدم وأهم ترجمة يونانية للعهد القديم.

سنة ١٥٦٠م أحيل مبكرًا للتقاعد لأسباب دينية - سياسية. وبعد ذلك بأربع سنوات، في السادس والعشرين من سبتمبر سنة ١٥٦٤م توفي بمرض الطاعون Pest.

بجانب عمله الأساسي والمتشعب جدًّا كأستاذ جامعي، قام بيبلياندر بتأليف أكثر من عشرين كتابًا.

أنجز كونراد جسنر Conrad Gessner أوّل فهرسة غير كاملة لأعمال بيبلياندر، حيث أطرى عليه قائلا: «إنّه أستاذ لا يُضاهى»، و«إنسان مثالي»(٣).

وطّد بيبلياندر بأعماله هذه سمعة مدينة زيورخ الدولية التي نالتها في ذلك الوقت من خلال الإصلاح البروتستانتي. ووضع بيبلياندر في الوقت نفسه أسس علم اللغة المقارن الحديث.

أمّا شهرته الكبرى، فلم يحرزها بيبلياندر إلا من خلال ترجمته لمعاني القرآن. فكيف حدث هذا؟

في القرنين الخامس عشر والسادس عشر بعد الميلاد كان العالم الغربي يواجه ظاهرة الانتشار الكاسح للإسلام. سنة ١٤٥٣م سقطت بيزنطة Byzanz (ت١). سنة ١٥٢٦م لاقت القوات المجرية المسيحية هزيمة حاسمة في موقعة Mohàcs. في سنة ١٥٢٩م وصل الجيش العثماني إلى أبواب ڤيينا. وفي سنة ١٥٣٧م فتح العثمانيون مدينة كاشاو Kaschau التي لا تبعد عن ليجنتس Liegnitz إلا بمسافة عشرين كم فقط. وفي سنة ١٥٤١م أحرز العثمانيون انتصارات جديدة: فضموا المجر الوسطى إلي إدارتهم، وحالوا دون ضمّ النمسا لمنطقة سيبنبورجين Siebenbürgen. وبالإضافة إلى ذلك فشل الهجوم الألماني المضاد على مدينة أوفن Ofen، مثلما فشلت حملة شارل الخامس Karl V على الجزائر.

أقلقت كل هذه الأحداث الحُكّامَ المسيحيين وزعماءهم الدينيين وأزعجتهم جدًّا، وخاصّة أنّ تعاطف شعوب المناطق المهددة من قبل العثمانيين مع الإسلام كان في تزايد مستمر، ولم تعد الدعاية المسيحية تجدي نفعًا.

رأى الزعماء الدينيون، وعلى رأسهم مارتين لوتر Martin Luther ، ضرورة منافسة الأتراك. ولكنهّم أدركوا في الوقت نفسه أهمية وجود ترجمة لاتينية مطبوعة لمعاني القرآن، من أجل دراسة «الدين التركي» بصورة أفضل(٤).

صحيح أنّه كان هناك في ذلك الوقت ترجمة لاتينية لمعاني القرآن. وهي الترجمة التي أنجزت سنة ١١٤١م بتكليف من بيير الكلوني Pierre von Cluny، وبرنارد الكليرڤي Bernard von Clervaux. ففي رحلة تفتيشية قاما بها إلى الأديرة الأسبانية التابعة لطريقتهما، حصلا في مدينة طليطلة Toledo على مخطوطة للقرآن، شارك في ترجمتها أكثر من عالم: بطرس الطليطلي Peter von Toledo، وهرمان الكرنتي Hermann von Kärnten، وروبرت الكنتي Robert von Kent الذي اعتبر في النهاية صاحب الترجمة(٥)(ت٢).

نسخت هذه الترجمة أكثر من مرة، وبقيت حتى وقت متأخر من القرن السادس عشر أهم مصادر معرفة النص القرآني في العالم الغربي، بالرغم من عيوبها الكثيرة(ت٣).

وأخيرًا حصل مارتن لوتر على نسخة من هذه الترجمة، فعهد بدوره إلى بيبلياندر بمراجعتها ونشرها(ت٤). استخدم بيبلياندر في عمله هذا، بجانب هذه النسخة، ثلاث مخطوطات أخرى (واحدة عربية، وصورتين من عمل روبرت الكنتي Robert von Kent) تمكن من اقتنائها. فتوفرت له بذلك إمكانية عقد مقارنة عامة للنص اللاتيني على الأقل(ت٥).

صحيح أنّ بيبلياندر كان يعرف شيئًا من اللغة العربية، ولكنّه لم يكن يتقنها مطلقًا(ت٦)، مثلما ترينا ملاحظته على السورة رقم ١١٧ (حسب ترقيمه الخاص)، حيث يقولُ: "Non omnia hic ponuntur quae sunt in Arabico". - (= ليس كل شيء هنا معروضا كما في الأصل العربي). إنّما قام بيبلياندر فقط بعقد مقارنة بين عدد قليل من الكلمات، وخاصّة أسماء الأعلام، ووضع ملاحظاته في ملحق. وهكذا بقيت الترجمة ناقصة، بل وغير مفهومة في بعض المواضع. فلم يكن مستغربًا أن يقوم المستشرق جوستاف بفان موللر Gustav Pfannmüller بهدم كلّ ما أنجز بيبلياندر من عمل، حيث يقول في نقده: «ولكنّ الترجمة اللاتينية لا تستحقّ في الواقع هذا الاسم، ويكاد لا يوجد أي تشابه بينها وبين النص الأصلي»(٦)(ت٧).

عهد بيبلياندر إلى صديقه يوهانيس أوبورين Johannes Oporin، وكان ناشرًا مشهورًا في بازل، بنشر عمله الضخم هذا. ولكنّ السلطات سارعت في أوّل أغسطس سنة ١٥٤٢م بمصادرة النص المجموع Satz وأفراخ الطباعة التي تمّ تجهيزها. كان همُّ الرقابة في بازل يتمثل في إمكانية إثارة كراهية الرأي العام ضدّ المدينة، في ظلّ أجواء العداء السائدة في ذلك الوقت ضد الأتراك، إن هي سمحت بطباعة الكتاب المقدّس لأعداء المسيحية هؤلاء في عقر دار المدينة(٧).

بدأت بعد ذلك مباحثات شاقة أمامَ مجلس مدينة بازل، تبعها في ٣٠ أغسطس الحكم على أوبورين Oporin وإلقاء القبض عليه لفترة قصيرة.

ولم يتم إنقاذ النص المجموع Satz والأفراخ التي جُهّزت للطباعة، إلا بعد التدخل المكثف من قبل بيبلياندر نفسه، ومجلس مدينة زيورخ، والأهم من ذلك: تدخل مارتن لوتر، وملانختون Melanchthon (ت٨). وأخيرًا وافق مجلس مدينة بازل في السابع من ديسمبر سنة ١٥٤٢م على نشر الترجمة، ولكن بشرط: عدم ذكر اسم المدينة، ولا اسم الناشر، على الطبعة. وبالإضافة إلى ذلك أمر مجلس مدينة بازل بأنّ يقوم مارتن لوتر بكتابة مقدمة لهذه الطبعة، وبألا تُباع الترجمة إلا من مدينة ڤيتنبرج Wittenberg في ألمانيا.

في ربيع سنة ١٥٣٣م ظهرت أخيرًا الطبعة الأولى من أوّل ترجمة مطبوعة لمعاني القرآن في الأسواق. وسرعان ما أحرزت هذه الترجمة نجاحًا ساحقًا (ساهم فيه بلا شكّ إجراءات الأجهزة الرقابية في مدينة بازل)، بحيث كان لابد من نشر طبعتين متتاليتين في العام نفسه. وقد أشرتُ إلى ذلك سنة ١٩٩٥م(٨).

ولأني لم أتمكن في ذلك الوقت من الحصول على نسخة من كلّ هذه الطبعات، فلم أستطع تقديم وصف دقيق لها. واستحال عليّ حتى يومنا هذا تجميع كل هذه الطبعات، لعقد مقارنة بينها. في الطبعة الأولى النهائية يظهر في عنوان الترجمة: "excellentissimi theologi Martini Lutheri praemonition" - (= مواعظ اللاهوتي الفذ مارتن لوتر). وفي الطبعتين الثانية والثالثة سنة ١٥٤٣م لا يظهر اسم مارتن لوتر على صفحة

الغلاف.

يقينًا لم يكن السبب الوحيد لهذه الحقيقة الجديرة بالملاحظة يتمثل في أنّ مارتن لوتر لم يكن هو مؤلف الـ Praemonitio (= المواعظ)، بل ميلانختون Melanchthon. فالسبب الحقيقي لذلك هو أنّ لوتر اعتبر موقفه مخالفًا لموقف المصلحين البروتستانت السويسريين، وخاصّة الزيورخيين، بخصوص «العشاء الرباني»(ت٩). كان الحديث عن «لعنات وصواعق رهيبة» على تسفينجلي وكنيسة زيورخ.

في كلٍّ منَ الطبعتين الثانية والثالثة لا يوجد ذكر لمقدمة Vorrede لوتر في عنوان الكتاب، ولا في فهرس الأفراخ في آخر الكتاب. فقط في الفرخ المضاف إلى الكتاب (ورقة Y 1a) نقرأ: "Martini Luthri Doktoris Theologiae et Ecclesiastis ecclesiae Vuittenbergensis in Alcorannus Praefatio". (= مقدمة دكتور اللاهوت وواعظ دائرة كنيسة ڤيتنبرج مارتن لوتر للقرآن). هذه علامة مميزة للطبعة الثالثة(٩).

وفي مقابل هذا نجدُ اسمَ فيليب ميلانختون Philipp Melanchthon مكتوبًا على صفحة الغلاف في كلٍّ من الطبعتين.

في الطبعة الثالثة يظهر الاسم مكتوبًا مفرقًا، بينما يظهر في الطبعة الثالثة مجتمعًا على سطر واحد. هذه هي العلامة الأكيدة المميزة للطبعة الثالثة (يصف جولنر Göllner هذه الطبعة بالعكس تمامًا(١٠)، في حين أنّ ڤالتر كولر Walter Köhler يذكر طبعة رابعة)(٩).

بعد ذلك بسبع سنوات – سنة ١٥٥٠م – ظهرت طبعة أخرى جديدة، إن لم تكن طبعتان، إحداهما في بازل، والأخرى في مدينة زيورخ التي كان بيبليياندر يعيش فيها.

سبق أن قمت بوصف طبعة بازل هذه من قبل(٨). وهي توصفُ خطأ، ولكن بصفة عامّة، بأنّها طبعة ثانية. وهذه الطبعة التي قمتُ بوصفها موجودة اليومَ ضمن مقتنيات المكتبة الجامعية في الرياض. وهي أيضًا لا تحتوي على مواعظ Praefatio مارتن لوتر.

في سنة ١٥٤٤م قام مارتن لوتر بمهاجمة البروتستانت السويسريين من جديد في كتابه: "Bekenntnis vom Abendmahl" (= شهادة العشاء الرباني)(ت١٠). وهنا وجد بيبليياندر نفسه مضطرًا لتأليف ردٍّ على هجوم لوتر (ولكنه لم يُطبع)، أظهر فيه غضبه من القول بأنه ليس مستحيلا أن يكون بيبليياندر نفسه هو سبب سقوط مواعظ Praefatio مارتن لوتر.

طبعة زيورخ المزعومة الصادرة سنة ١٥٥٠م أوردها كتّاب السيرة التاليون: برونيت Brunet(١١)، وتسينكر Zenker(١٢)، وبينارك إرين Binark Eren(١٣). بينما لم يذكر طبعة سنة ١٥٥٦م، إلا بينارك إرين Binark Eren(١٤).

شخصيًا لم أعثر حتى الآن على طبعة زيورخ الصادرة سنة ١٥٥٠م، ولا الطبعة الأخرى الصادرة في زيورخ أيضًا سنة ١٥٥٦م، وبالتالي لم أتمكن من وضعهما تحت المجهر.

يمكننا إذن أن نفترض أنّ الأمر يتعلق هنا بأخطاء تخص هذه السجلات التاريخية Einträge، أو بكتب وهمية، وبأن طبعة زيورخ هذه لم توجد أبدًا.

يمكن القول باختصار إن بيبليياندر قد أنجز ترجمته اللاتينية لمعاني القرآن بناء على ظروف خارجية. ويُظهر تاريخ طباعة هذه الترجمة بوضوح أنّ زعماء الحركة البروتستانتية كانوا في آخر الأمر منقسمين على أنفسهم، حيث وقعت في ذلك الوقت أحداث متشابهة لما يحدث في عصرنا هذا.

كان البروتستانت يعتبرون الأتراك – وبالتالي الإسلام – عصا الله التأديبية التي تدعو المسيحيين إلى التوبة والتكفير عن معاصيهم. وفي مقابل ذلك كان بيبليياندر ينظر إلى الأمور نظرة مختلفة تمامًا. فقد بلغت مطالبه ذروتها من خلال قوله بأنّه ينبغي على المسيحيين قبل أي شيء أن يتعرفوا على دين خصومهم. عندئذ سيكون بوسعهم مواجهتهم بالحجج والبراهين العقلية، بدلا من الحرب(ت١١).

وقد حاول بيبليياندر إثبات الأصل المشترك لكل الأديان في كتابه المنشور سنة ١٥٤٨م بعنوان: "De Ratione communi omnium Linguarum & literarum" (١٥). وهو بحث عن الأساليب المشتركة لجميع اللغات والآداب، حيث يقول: «إنّ اللهَ هو خالق هذا العالم ومدبره، ويجب الخضوع لإرادته في الحياة العامة والخاصة. ولكن لا ينبغي فرض الهداية الإلهية بالقوة والتهديد والإرهاب والتعذيب والحروب. ذلك أنّ المسيح هو النور، والطريق، والحقيقة، والحكمة، والقوة الإلهية؛ وهو الذي يصلح بنفسه بين نفوس الناس ويستحيزها، ويهديها بقدرة إلهية».

كان هدف بيبليياندر هو وحدة الإنسانية.

بل إنّه فكّر في السفر إلى مصر، من أجل نشر أفكاره هذه في قلب العالم الإسلامي في ذلك الوقت. ولم يفلح أصدقاؤه من ثنيه عن السفر، إلا بعد جهود مضنية(٢).

وأخيرًا ألّفَ سنة ١٥٥٣م كتابه: "De monarchia totius orbis suprema legitima et sempiterna ..."--(١) (= في أعظم سلطة مطلقة حتمية وأبدية للعالم). بيد أنّ الرقابة قامت بمصادرة مخطوطة الكتاب المحفوظة اليومَ في مكتبة زيورخ المركزية.

في المقدمة ترد العبارة اليسوعية التي تقول: «وداود عبدي يكون ملكًا عليهم، ويكون لجميعهم راعٍ واحد، فيسلكون في أحكامي ويحفظون فرائضي ويعملون بها»(حِزْقِيَال: ٣٧، ٢٤)، مع إهداء، حيث «يتمنى تيودور بيبليياندر الرحمة والسلام وذلك الخلاص من الرب الإله لكل المسيحيين واليهود والمحمديين المسلمين».

في هذا الكتاب يخاطب بيبليياندر جميع المؤمنين في الغرب والشرق. وهو يوَضّحُ لهم: «... النقاط التي يتفقون فيها، والمسائل التي يختلفون حولها»، ويستطرد قائلا إنّ: «... مسائل الخلاف هذه هي مصدر الشرور التي لا تحصى في كل أنحاء العالم».

تحدث بيبليياندر بطريقة مماثلة في كتابه الصادر سنة ١٥٥٣م (في دار أوبورين Oporin في مدينة بازل) بعنوان: "De legitima vindicatione Christianismi veri et sempiterni" (= في الادعاء المشروع للمسيحية الحقيقية والأبدية) الذي أهداه إلى يوهانس تشيك Johannes

Chec، مربـي ادوارد السادس Eduard VI الـذي تولى عرش انجلترا فيما بعد. كتـب بيبليياندر في كتابه هذا يقول: «... مازال المسيحيون بحاجة إلى إنجاز الكثير من العمل من أجل السلام ...».

أحـداث سنـة ١٥٥٦م حتـى سنـة ١٥٦٠م في زيـورخ نفسهـا، والتـي أدت إلى فصـل بيبليانـدر مـن عملـه، تُظهـرُ بوضوح أنّـة كان يتمتـع بنظـرة نبوية بهذا الخصوص(١٦).

سبق بيبليياندر عصره بكثير، وكشف عن دفء مشاعره، وإنسانيته، وعالميته، في كتابيه المذكورين مؤخرًا بصورة خاصة.

مـازال بوسـع بيبليانـدر حتى يومنا هذا أن يكون مثلا أعلى لنا في التسامـح الفكري والعملي. بهذا المعنى فإنّ نشر طبعة جديدة مـن أعمال بيبليياندر (مرفقة بترجمة) لابد أن تلقى ترحيبًا كبيرًا.

169- هوامش دراسة مارك ادوارد إيناي

(1) Abdullah، Salim M.، in: Sonntagsgruss. Saarbrücken، 24.9.1963; und Moslemische Revue، Heft 2. Soest، 1994.

(2) Egli، Emil: Biographien: Bibliander، Ceporin، Johannes Bullinger. In: Analecta Reformatoria II. Zürich 1901، S. 1-44.

(3) Gessner، Konrad: Bibliotheca Universalis ... Zürich 1545، S. 611f. Bibliothecae Conradi Gesnesi، Zürich 1555، S. 99f.

(4) Luther، Martin: Verlegung des Alcoran Bruder Richardi. Wittenberg 1542. Sowie: Kommentierte lateinisch-deutsche Textausgabe، hrsg. von Johannes Ehmann. Würzburg 1999. (Corpus Islamo-Christianum; Series Latina، 6). Enthält ausserdem ein umfangreiches Literaturverzeichnis.

(5) Näheres dazu bei: Monneret de Villard، Ugo: Lo studio dell' Islam in Europa nel XII e nel XIII secolo; Studi e testi، 110. Rom 1944.

(6) Pfannmüller، Gustav: Handbuch der Islam-Literatur. Berlin/Leipzig 1923، S. 213.

(7) Steinmann، Martin: Johannes Oporinus. Ein Basler Buchdrucker um die Mitte des 16. Jahrhunderts. In: Basler Beiträge zur Geschichtswissenschaft، 105. Basel/Stuttgart 1967، S. 20ff. Aus dieser Arbeit geht deutlich hervor، dass der Ratsbeschluss zur Beschlagnahmung nicht nur auf religiös-politischen sondern auch auf wirtschaftlichen Intrigen fusste.

(8) Enay، Marc-Edouard: Mohammed und der Heilige Koran. Hamburg 1995، S. 68f.

(9) Köhler، Walter: Zu Biblianders Koran-Ausgabe. In: Zwingliana III، Zürich 1920، S. 349f.

(10) Göllner، Carl: Turcica I. Bukarest/Berlin 1961، Nr. 792; Kommentar.

(11) Brunet، Jacques-Charles: Manuel du libraire ... (5. Ausgabe). Paris 1860-1880. (III، Sp. 1308).

(12) Zenker، Julius Theodor: Bibliotheca Orientalis I. (Reprint). Amsterdam 1966 (Nr. 1386).

(13) Binark-Eren: Binark، Ismet und Eren، Halit: World Bibliography of Translation of the Meanings of the Holy Qur'an. Istanbul 1986 (Nr. 1033/2).

(14) Binark-Eren: wie vorstehend jedoch: (Nr. 1034/3).

(15) Büsser، Fritz: Theodor Biblianders Abhandlung über die Gemeinsamkeit der Sprachen. In: Zentralbibliothek Zürich - Schätze aus Vierzehn Jahrhunderten. Zürich 1991، S. 62ff.

(16) Staedtke، Joachim: Der Zürcher Prädestinationsstreit von 1560. In: Zwingliana IX، 9. Zürich 1953، S. 536ff. Der Autor beleuchtet von allen Seiten die theologischen Auseinandersetzungen und Folgen، denen Bibliander schliesslich unterlag.

170- تعليقات ثابت عيد

(ت١) بيزنطـة: «مدينـة يونانية قديمة على البوسفور هي استانبول اليـوم. أعاد بناءها قُسطنطين الكبير ٣٢٤ ودعاهـا القسطنطينية. عاصمة الامبراطورية البيزنطية ٣٩٥».

- المنجد في الأعلام، الطبعة السادسة عشرة، بيروت ١٩٨٨، ص١٥٩.

(ت٢) يقول العلامة المصري عبد الرحمن بدوي: «أوّل وأقدم ترجمة كاملة للقرآن هي تلك التي دعا إليها ورعاها بطرس المحترم Pierre de Vénérable رئيس ديـر كلوني ... وتولاها بطرس الطليطلي، وهرمن الدماشي، وروبرت كينـت، بمعاونة عربي مسلم يدعى محمّد (ولا يُعرفُ له لقب، ولا كنية، ولا أي اسم آخـر). وراجـع الترجمة اللاتينية پيير دي پواتييه Pierre de Poitiers. وتمّت هذه الترجمـة في سنة ١١٤٣م. وطبعت في بازل (سويسرا) سنة ١٥٤٣م بالعنوان التالي:

Machumetis, Saracenorum Principis, ejusque successorum vitae, ac doctrina, ipseque alcoran ... quae ante annos CCCC, vir ... clarissimus, D. Petrus Abbas Cluniacensis ... ex Arabica Lingua in Latinam transferri curavit-Haee omnia in umun volumen redecta sunt, opera et studio Theodori Bibliandri, Ecclesiae Tigurinae ministri, qui collatis etiam exemplaribus Latini et Arabi. Alcorani textum emendavit. Basilea 1543, in-fol.

وطبعت طبعة ثانية في بازل أيضًا في سنة ١٥٥٠م. والذي قام بنشر هذه الترجمة اللاتينية هو تيودور ببليياندر، وكان لاهوتيًا من زيورخ (سويسرا)».

– عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٨٩م، ص ٣٠٦ وما بعدها.

(ت٣) يقـول عبـد الرحمن بـدوي: «ونعودُ إلى الترجمة اللاتينية التي أمر بها بطرس المحترم هذه، فنقول إنّهـا أقرب إلى التلخيص الموسّع Paraphrase منها إلى الترجمة. فهي لا تلتزم بالنص دقة وحرفية، ولا تلتزم بترتيب الجملة في الأصل العربي. وإنّما هي تستخلص المعنى العام في أجزاء السورة الواحدة، ثـمّ تعـبّر عـن هذا بترتيب من عند المترجم. ورغم هذا العيب العـامّ، والأخطاء الجزئية في فهم بعض الآيات، فإنّ هذه الترجمـة "بوصفها أوّل ترجمة للقرآن إلى لغة أجنبية تُعدّ إنجازًا مهمًا" ... وكون ببيلياندر قد نشر هذه الترجمة، بعدَ أربعة قرون من إنجازها، هو دليل على ما كان لها من مكانة سائدة خلال تلك القرون».

– عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ص ٣٠٦ وما بعدها.

(ت٤) يقول لوتر عن دافعه إلى نشر ترجمة لمعاني القرآن: «لقد استيقنتُ أنّه لا يمكنُ عمل شيء أكثر إزعاجًا لمحمد Mahmet أو الأتراك، ولا أشدّ ضررًا (أشـدّ مـن جميـع أنواع السلاح)، من ترجمة قرآنهم ونشره بينَ المسيحيين. عندئذ سيتضح لهم أي كتـاب بغيض وفظيع وملعون هذا القرآن – مليء بالأكاذيب والخرافات والفظائع».

– انظر: ثابت عيد، صورة الإسلام في التراث الغربي، ص ٢١.

(ت٥) يقـول عبـد الرحمـن بدوي: «وقد أضاف ببيلياندر في نشرته هذه ترجمـة لاتينية أخرى لسورة الفاتحـة. وهي ترجمة أجود كثيرًا مـن تلك الواردة في الترجمـة اللاتينيـة المنشـورة في أصل هذا الكتاب. غـير أنّه لا يذكرُ مَن الذي قام بهـذه الترجمة لسورة الفاتحة. كذلك يضيف محاولـة ترجمة قام بها ڤلهلم پوستل Postel.

وفي أثناء الطبع استطاع الاطلاع على مخطوطين لاتينيين آخرين، واستخرج منهما عددًا كبيرًا من القراءات ذكرها في التعليقات (ص ٢٣٠ وما يتلوها)».

– عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ص ٣٠٦ وما بعدها.

(ت٦) يقـول عبـد الرحمـن بـدوي: «وتقع ترجمة القـرآن في المجلد الأوّل من صـ ٨ إلى ص ١٨٨. وقد استعـانَ الناشر، بيبلياندر، بمخطوطـين لهذه الترجمة اللاتينيـة. لكنـه لم يشـر إلى مكانهما. ولهذا فمن الصعب معرفـة إلى أي مدى كان دقيقًا في نشره عن هذين المخطوطين. ثمّ إنّـه يزعم في صفحة العنوان أنّه (راجـع الترجمـة اللاتينية على النص العربي للقرآن وزوّد الهوامش بالتعليقات). لكن لا يبدو أثرٌ يُذكرُ لهذه المراجعة. كما يشك في مدى علمه باللغة العربية، بحيثُ لا نرى أثرًا لعلمه بالعربية، إلا في حواشي قليلة في الهامش (مثلا ص ١٨٥، ١٨٧، ١٨٨)».

– عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ص ٣٠٦ وما بعدها.

(ت٧) يقول عبد الرحمن بدوي: «وقد أورد الناشر، ببلياندر، النصوصَ الثلاثة التالية قبل إيراد ترجمة القرآن:

١– الرسالة التي بعث بها بطرس المحترم (بطرس الذي في دير كلوني) إلى برنار دي كليرڤو (القديس برنار) ص ١– ص ٢.

٢– ردّ موجز على المبتدعة وعلى فرقة ... المسلمين أو بني اسماعيل، ص ٢–٦.

٣– مقدمة روبرت كينت لترجمته للقرآن على شكل رسالة بعث بها إلى بطرس المحترم، ص ٧–٨.

وبعد نص الترجمة اللاتينية للقرآن يورد ببلياندر ثلاث رسائل هي:

١– عقيدة محمد (ص ١٨٩–٢٠٠) وهي من ترجمة هرمن الدلماشي.

٢– ميلاد محمد ونشأته (ص ٢٠١–٢١٢) وهي من ترجمة هرمن الدلماشي.

٣– أخبار المسلمين المعيبة المضحكة (ص ٢١٣–٢٢٣)، ويرجح أنّها من ترجمة هرمن الدلماشي.

والرسالـة الأولى منهـا تقـومُ على رواية لأسطورة تعرف باسـم "مسائل عبد الله بن سلام"، وهو يهـودي سأل النبي (صلعم) – فيمـا تزعم هذه الأسطورة – مسائل، فأجاب النبي عنها إجابة دعت ابن سلام إلى اعتناق الإسلام.

والرسالة الثانية يرجعُ تسلسلُ السند فيها إلى كعب الأحبار، وهي رواية أسطورية لميلاد النبي وطفولته.

والرسالة الثالثة لمحة موجزة عن تاريخ الإسلام من البداية حتى موت الحسين».

- عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ص ٣٠٦ وما بعدها.

(ت٨) فيليب ملانختون Philipp Melanchthon (١٤٩٧-١٥٦٠م): ولد في مدينة برتن Bretten وتوفي في مدينة فيتنبرج بألمانيا. يعتبر الشخصية الأكثر تسامحًا في الحركة البروتستانتية. وكان الرجل الثاني بعد لوتر في حركة الإصلاح البروتستانتية في ألمانيا. تعرّض للكثير من النقد من جانب لوتر والبروتستانت بسبب مواقفه المتسامحة.

- انظر: Evangelisches Lexikon für Theologie und Gemeinde، S. 1314f.

(ت٩) يقولُ الإمامُ محمد أبو زهرة عن العشاء الرباني: «انتهى البروتستنت بالنسبة إلى العشاء الرباني إلى أنّه تذكار بفداء المسيح للخطيئة التي ارتكبها آدم، وتحملت الخليقة من بعده وزرها، وتذكار لمجيئه ليدين الناس. فهو تذكار للماضي والمستقبل كما جاء في بعض الرسائل. وهم يُنكرون أن يتحوّل الخبز إلى جسد المسيح، والخمر إلى دمه.

والكنيسة قد أصرت على ذلك إصرارًا. وهذا قرارها في المجتمع الترنديتي في ذلك الشأن. فهي تقولُ بلسان أعضائه: "لقدِ اعتقدت كنيسة اللهِ دائمًا بأنّه بعد التقديس يوجد جسد ربنا الحقيقي ودمه الحقيقي مع نفسه ولاهوته تحت أعراض الخبز والخمر - وأنّ كلا من الشكلين يحتوي على ما يحتوي كلاهما، لأنّ يسوع المسيح هو بكماله تحتَ الخبز، وتحت أصغر أجزاء هذا الشكل. كما أنّه هو كلّه أيضًا تحت شكل الخمر وجميع أجزائه. وقدِ اعتقدت الكنيسة أيضًا اعتقادًا ثابتًا بأنّه بتقديس الخبز والخمر يستحيلُ كامل جوهر الخبز إلى جوهر جسد ربنا، وكامل جوهر الخمر إلى جوهر دمه تعالى. وهذا التعبير قد دعاه بكل صواب. فيلتزم إذن جميع المؤمنين بأنّ يعدوا هذا السر المقدّس العبادة المستوجبة للإله الحقيقي. لأنّنا نعتقد بأنّه يوجدُ فيه الله نفسه الذي عبدته الملائكة على أمره تعالى - حينما أتى على العالم - وهو نفسه الذي سجدت له المجوس خارجينَ على أقدامه وله نفسه سجدت الرسل في الجليل"».

- الإمام محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص ١٧٠-١٧١.

(ت ١٠) يقول الإمام محمد أبو زهرة عن موقف مارتن لوتر من العشاء الرباني: «وأنكر أنّ المسيحَ يحلُّ في بدن من يأكل العشاء الرباني. فقد أنكر استحالة الخبز إلى عظام المسيح المكسورة، وأنكر استحالة الخمر إلى دم المسيح، وحلولهما في جسم الآكِل. واكتفى بكون العشاء الرباني تذكيرًا لما قام به المسيح من فداء للخليقة في زعمهم، وأن يعتقد المسيحي أن المسيحَ معه بجسده عند تناول هذا العشاء».

- الإمام محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص ١٦٥،

(ت١١) يقول جيرنوت روتر عن بطرس المبجل: «لقد شجّع بطرس المبجل - رئيس دير مدينة كلوني - إنجاز أوّل ترجمة لمعاني القرآن سنة ١١٤٣م - وكان الهدف المعلن لهذه الترجمة هو محاربة الإسلام عن طريق دحض قواعده. وهو ما يعتبر تقدمًا هائلا. كتب بطرس مخاطبًا المسلمين: "إنّني أهاجمكم - ليس بالسلاح ولا بالعنف - مثلما اعتاد أصحابنا أن يفعلوا، ولكن بالعقل، ليس بالكراهية، ولكن بالحب"».

- انظر: ثابت عيد، صورة الإسلام في التراث الغربي، مكتبة نهضة مصر، القاهرة ١٩٩٩، ص ٦٠.